



بقلم

د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

هل وصلت للقاع؟

الحفاظ على الأحاسيس والمشاعر واللذة الناجمة عن التعاطي لضمان الاستقرار النفسي، وتكون الأعراض الانسحابية النفسية هي: القلق والاكتئاب والحساسية الشديدة والأرق وفقدان الشهية وفقدان الرغبة الجنسية.

وهنا تدخل الأب مرة أخرى وسأل:

- لماذا لا يستطيع المدمن التوقف عن التعاطي بالرغم من رغبته في ذلك؟

- تبدأ رحلة جميع المدمنين من مرحلة «الحفلة» حيث يشعر الشاب بالانتعاش ونشوة المخدر، مع توافر التقود ومصادر الحصول عليها، ويظن في هذه المرحلة أنه قادر في أي لحظة على التحكم في نفسه والتوقف عن التعاطي، لكنه في اللحظة نفسها يكون في «القاع» وهي المرحلة التي تتزايد فيها نسبة المخدر بالجسد واعتماد خلايا الجسم على الجرعة.

وهنا وجهت للابن سؤالاً مباشراً:

- هل وصلت إلى القاع؟

- ما هو القاع يا دكتور؟

- المخدرات تجعل المدمن أكثر جرأة وتفاعلاً مع من حوله ولكنه لا يعلم أنه في مرحلة «الحفلة»، وعندما يصطدم بواقع «القاع» والتحول إلى مدمن لا يستطيع العيش دون تناول الحبوب، التي يحافظ على معدلها بصرف ما يملكه هو وأهله، وفي النهاية تبدأ الروح في ملاسمة القاع، ويصبح كل شيء في الحياة ميزانه الحقيقي، هو الميزان الذي يوزن عليه التاجر جرائم المخدر.

وتدخل الأب مرة أخرى في الحوار

- إذن متى يستطيع ابني الخروج من هذا المرض اللعين؟

- المدمن لا يرى الخسائر التي يعانها طالما في إمكانه الحصول على تلك النشوة، إلى أن يصل إلى مرحلة القاع، تلك المرحلة التي يرى فيها المدمن نفسه الخسائر النفسية والجسدية والمادية التي أصابته، فينمو لديه توجه الإقلاع عن الإدمان.

- يا دكتور أنا أرسلت ابني إلى الكثير من المصحات وكان من يقوم على علاجه مجموعة من المدمنين السابقين!

- الفريق العلاجي بالمصحات يحوى الطبيب النفسي والإخصائي النفسي والإخصائي الاجتماعي والمدمنين المتعافين وأحياناً الواعظ الديني.

- ولكن ما فائدة المدمنين المتعافين في العلاج؟ ليس من الممكن أن يزيّدوا من المشكلة!

- يستعين الأطباء في أحيان كثيرة بمدمنين متعافين تم شفاؤهم، لتقديم الدعم النفسي،

اتصال في وسط الليل من أخ عزيز يشغل موقعاً قيادياً في المجتمع يستجد بى أن أغيبته من واقع مؤلم يعايشه منذ عدة سنوات ووصل به الأمر إلى شدة الإحباط والألم ويطلب منى المساعدة، وحددت له موعداً للمقابلة في صباح اليوم التالي، وفي الموعد المحدد حضر بصحبة ابنه الشاب البالغ من العمر عشرين عاماً ودخل على الفور حجرة الكشف حيث لم يرغب الوالد أن يراه أحد من المترددين على العيادة نظراً لموقعه المتميز في المجتمع وبدا على الفور في سرد المشكلة التي يعاني منها.

- يا دكتور أرجوك أنقذنى من هذه المشكلة التي حطمتنى وحطمت أسرتى.

- خير ما الذى تشكى منه؟

- يا دكتور ابني مدمن .. ابني مدمن.

وأخذ الأب يبكي بحرقه لدرجة لم يستطع بعدها مواصلة الحديث لعدة دقائق والابن ينظر بلامبالاة في كل اتجاه ولا يبدي أى رد فعل لكلام الأب وبكائه وهنا وجهت الحديث للابن:

- منذ متى وأنت في هذه المشكلة؟

- يا دكتور أنا مش مدمن .. أنا شاب زى كل الشباب جربت بعض الأنواع.

- ولكن الوالد مصمّم على أنك في مشكلة شديدة ويشير إلى أن تلك المشكلة دمرت الأسرة ككل.

- والدى دائماً بيألم ويشك في ولا يصدقنى في أى مناقشة أو تصرف ويرغب دائماً في التشهير بى وإرسالى إلى الأطباء والمصحات .. أنا قضيت تقريبا نصف حياتى من مصحة إلى أخرى بالرغم من أننى قلت له أكثر من مرة إننى لم أعد مدمناً ولكنى جربت فقط وإننى أستطيع التوقف في أى لحظة إذا تركونى فى حالى.. للمرة الألف أنا مش مدمن.

- إذا كنت جربت كل شيء وتدهورت أموروك الحياتية ولست مدمناً! إذن فى تعريفك ما هو الإدمان؟

- قل لى يا دكتور بدمتك انت ما هو الإدمان .. هل كل من جرب عدة مرات هو إنسان مدمن؟

- الإدمان ببساطة هو تكرار تعاطى مادة أو أكثر من المواد المخدرة بشكل متكرر مما يؤدى إلى حالة اعتماد عضوى أو نفسى أو كليهما وظهور الأعراض الانسحابية فى حالة الانقطاع والمقصود بالاعتماد العضوى هو تعوّد الجسم على المواد المخدرة ليؤدى وظائفه وفى غياب تلك المادة تختل تلك الوظائف وينتج عنها أعراض انسحابية جسدية نتيجة نقص المادة المخدرة وتكون على شكل آلام فى المفاصل والعضلات والصداع وغيرها، والمقصود بالاعتماد النفسى رغبة المدمن فى

إلى المرضى الخاضعين للمراحل الأولى من العلاج، حيث يصبح التعافى عضواً مميزاً فى برنامج «NA» الذى تستخدمه مصحات العلاج، حتى يعلم المريض أسباب تعاطيه المخدرات والسلوكيات الإدمانية، حيث يدرّب المدمنين فى مرحلة التعافى على عدة مهارات للتخلص من فكرة التعاطي التي تسيطر على أذهانهم، فضلاً عن نقل خبراته فى مجال التعافى، وكيف وصل لحالته بعد مرور عدة سنوات ليصبح قائد مجموعة فى إحدى المصحات.

- يا دكتور أنا أدخلت ابني عدة مصحات من قبل وكان يظل بها عدة أيام حتى يخرج بعد أن يقسم لى أنه تاب ولن يعود للإدمان وبعدها بعدة أيام يعود لنفس المشكلة.

- ابنك لم يستكمل البرامج العلاجية المناسبة للوصول إلى الشفاء والاستقرار النفسى، حيث تنقسم مرحلة التعافى من الإدمان إلى مرحلتين الأولى هي مرحلة إزالة السمىة من الجسم (ديتوكس) والثانية هي مرحلة (هاف واى)، وتبدأ مرحلة «ديتوكس» بتخليص المدمن من السموم وتعتمد هذه المرحلة بشكل كامل على الطبيب المعالج، الذى يتابع الحالة ويعطى المريض الدواء اللازم فى هذه المرحلة. وتأتى مرحلة «هاف واى» فى مرحلة لاحقة، حيث يعتمد أغلب المصحات الخاصة على المدمنين المتعافين فى المساعدة على شفاء المدمنين الخاضعين للعلاج، وذلك طبقاً لبرنامج الـ ١٢ خطوة المعروف بـ (NA) أو دبلومة المدمنين المهوليين وهو برنامج عالمي تستخدمه أكبر المصحات العالمية

كذلك من الهام فى طريق التعافى من الإدمان الوصول إلى التشخيص المزدوج وهو اكتشاف المرض النفسى اللازم للمدمن، وحيث إن المرض النفسى للمدمن كمرض الاكتئاب مثلاً قد يكون سابقاً للتعافى وسبباً فى المرض ويمكن أن يصاب بالمرض النفسى بعد تعافى نوع معين من المخدرات.

- وما هى المدة التي يحتاجها ابني حالياً للوصول إلى الشفاء بإذن الله؟

- من واقع حال ابنك يحتاج بضعة أشهر من العلاج الداخلى بالمصحة لتنظيم علاج متكامل للوصول إلى بر الأمان بإذن الله.